الفصل الرابع

المحتويات:

- علاقة علم السكان بالفلسفة
- المنهجي في الدراسات السكانية
- العلاقة بين العلم والمناهج والفلسفة

obeikan.com

obeikan.com

علاقة علم السكان بالفلسفة

الإشكالية المعرفية للموضوع:

هل المقاربة الفلسفية تساعد البحوث السكانية؟ وهل بالتالي تمكن الباحث ذي الخلفية الفلسفية من الاقتراب نحو البحوث السكانية وعلم السكان؟، أو أي بحوث علمية أخرى.

هل للبحوث السكانية فلسفة أو فلسفات واضحة محددة كما للسياسات السكانية فلسفات محددة؟.

وكيف يتم تحرير بحث سكاني دون مصادر إحصائية دقيقة؟

هل يمكن فصل السكاني عن الاجتماعي؟

أو فصل الإنسان عن المكان وعن الزمان؟

أسئلة بمجرد طرحها يعني بداية البحث، وأحياناً يكفي طرح السؤال. حتى القارئ الذي لم يطلع كثيراً على الموضوع ستتشكل عنده ملاحظات حول ضرورة التحليل والتدقيق في المعلومات المتداولة بين الناس. لذلك رأينا إلى طرح الإشكالية البحثية في دراسة تأثير التحليل الفلسفي على الدراسات السكانية.

"ليست الفلسفة مجرد فكر بلا زمان ولا مكان، بلا مجتمع وبلا حضارة إنما هي نظام فكري ينشأ في عصر، ويقوم به جيل ويخدم مجتمعاً ويعبر عن حضارة"[1]

الفيلسوف هو صاحب الموقف الحضاري الذي يحلل الظواهر ويبرهن عن نقاط الخلل في المجتمع. لتصبح الغاية الأساسية للفلسفة خدمة الإنسان.

الفيلسوف عن طريق النقد وإخراج الحلول يساهم في تنامي المعرفة حتى لو كان هذا الحل غير مناسباً، "عن طريق إخراج حل غير ملائم بالمرة وعن طريق

---

1 نفس المرجع ص ١١- ١٣.

obeikan.com

نقد هذا الحل غير الملائم، بهذه الطريقة فقط نستطيع أن نقترب من فهم المشكلة. ذلك أن فهم المشكلة يعني أن نفهم لماذا لا يسهل حلها، ولماذا تفشل أوضح الحلول، لذلك يجب أن نُخرج هذه الحلول الواضحة ونحاول أن نكتشف لماذا تفشل بهذه الطريقة، نتعرف على المشكلة وبهذه الطريقة يمكن أن ننتقل من حلول سيئة إلى حلول أفضل قليلاً، شريطة أن يكون لدينا دائماً القدرة على أن نخمن من جديد... ويمكن أن تخضع حلولنا الاختبارية للنقد من الآخرين، أي للمناقشة النقدية. ذلك أنه منذ اختراع التفكير النقدي والتدوين، قد حدث ما يمكن وصفه تنامي المعرفة وأصبح للمعرفة وتناميها تأثير متعاظم على حياة البشر، بصورة مباشرة" (كارل بوبر).

"الفيلسوف هو كل من يحاول تحليل الواقع محاولاَ التعرف على مكنوناته، مبدعاً، دارساً الأشياء، محللاً للظواهر قاصداً إلى الأشياء ذاتها، متخليا عن المنقول إلى المعقول وواصلاً إلى المعقول من المشاهدة والحس والتجربة. انه من يحاول سبر غور الواقع محصياً إياه، عداً عداً، فلا فكر إلا من واقع ولا ثقافة إلا من شعب" (ديكارت وكانط).[1]

ماهية الفلسفة الاجتماعية:

- نشأت الفلسفة الاجتماعية من خلال قلق الإنسان على مصيره حين بدأ يفكر ويحصي ويحلل الظواهر تجنباً للمخاطر.وهذه الهواجس أو المخاوف دفعت الإنسان للتمسك بالجماعة طلباً للأمان. الإنسان يطلب الحرية لكنه يخاف من العزلة، والخوف من العزلة يدفعه للتمسك بالجماعة وتمسكه بالجماعة يعرضه لكثير من الضغوط، فالجماعة تؤثر تأثيرا واضحا في توجهات الفرد وسلوكه، وكل الأزمات الاقتصادية أو السياسية أو

---

1 محمد كامل الخطيب، قضية الفلسفة الطبعة الأولى، دمشق، دار الطليعة الجديدة، ١٩٩٨ ص ٤٤٤.

الاجتماعية التي تمر بها المجتمعات تصبح شغل الإنسان الشاغل فهو يعمل بصورة مستمرة لمواجهة هذه الضغوطات.

والضغوط الاجتماعية ظاهرة متغيرة فهي تختلف من مجتمع إلى آخر، ومن بيئة إلى أخرى، ومن عمر إلى آخر، وكذلك من جنس إلى آخر، وتختلف المعايير في الحكم على هذه المتغيرات، فلكل مجتمع أو فرد سمات معينة وخصائص وقيم تختلف عن غيره، ومعظم الأحكام في المجتمع خاضعة لذاتية الإنسان، ونفس الموضوع يُفسر تفسيرات مختلفة، مثلاً: تعاطي الكحول يعتبر عادة اجتماعية مقبولة في بعض المجتمعات، بينما في مجتمعات أخرى هو من المحرمات. وكذلك مثل آخر الخصوبة: فهناك خصوبة شرعية وخصوبة غير شرعية، والخصوبة غير الشرعية تكون مقبولة في بعض المجتمعات، وغير مقبولة إطلاقاً في مجتمعات أخرى. وبما إن الإنسان يطلب الحرية و بالوقت نفسه يخاف من العزلة يحاول دائما البحث عن الجماعة التي تتوافق وميوله فتنشأ ظاهرة الحراك الاجتماعي في الغالب وفق التقارب بين الجماعات في المعتقدات ، فكل الظواهر السكانية خاضعة دائما للبيئة الطبيعية والقوانين الاجتماعية والأديان والعقائد والحالة الاقتصادية والسلم الأهلي إلى ما تبقى من هذه الضوابط. وهذه الظواهر أو الضوابط تسمى روح العصر أو الفلسفة الاجتماعية التي تُعنى بدراسة الوجود الواقعي أو دراسة الإنسان المشخص في حياته اليومية وفي علاقته مع الآخرين. في فلسفة "**هايدغر**" أو "**سارتر**" هذه الفلسفة الوجودية، اعتبرت أن حرية الإنسان تكمن في اختياره لموقف دون آخر وقد يكون من المستحيل التنبؤ باختياره مقدماً، أي عند ولادته، إذ يكون عندها ناقص الصورة. وأُرجعت المعرفة عند الإنسان إلى تجربة حية يعيشها ويعاني من هذه التجربة مما يدفعه إلى الاختيار. فالظواهر السكانية لن تكون وليدة الصدفة بل نتيجة تفاعل مع المحيط الاجتماعي والبيئي والثقافي.

ويرى "**كيرجارد**" بأنه من خلال الاختيار تنشأ المسؤولية، وعندئذ يكون الإنسان رب أفعاله ويتحمل المسؤولية.

ويصرح **سارتر** أيضاً بأن الاختيار لا يقترن برؤية ولا يكون مسبوقاً بتدبير عقلي، أو تحديد لغاية، أو معرفة ببواعث، وهذه هي الحرية الإنسانية، أنها غير مقيدة بمواقف تتحكم فيها، وقد رفض الوجوديون إخضاع الفرد للحتمية الاجتماعية أو للموضوعية العلمية.

أما الفلسفة بالمفهوم **الماركسي** اعتبرت انه لا يمكن أن نفهم طبيعة العالم إلا بمحاولة تحسين أحواله، وليست الفلسفة إلا هذا التوجيه المستنير الواعي الذي يحرر الإنسان من طغيان الظلم وأباطيل الخرافة".[1]

1 د. توفيق الطويل، أسس الفلسفة الطبعة السادسة، القاهرة، دار النهضة العربية ص ٧٢.

obeikan.com